

واستنباطهم وأتباعهم، وخلفوا في الفقه ثروة نحن في أشد الحاجة الآ الانتفاع بها، فأين
الو مذاهبهم؟ لأنهم لم يكونوا من المذاهب الأربعة يقضي علا تراثهم؟ إن الفكرة الإسلامية
سلسلة متصلة الحلقات منذ عصر النبوة، فلا ينبغي أن يكون فيها قديم وجديد، أو مأخوذ
ومترك.

إن مسألة إقفال باب الاجتهاد قد يرجع في أصلها إلى غيرة على الإسلام مشكورة، فلعل الذين
قالوا بها إنما أرادوا ألا تقع في الدين فوضى، وألا يقع استنباط الأحكام بأيدي رجال غير
أمناء يفتحون على المسلمين ثغرات، ويتجاوزون حدود ما يصح فيه الاجتهاد، فيحللون الحرام،
ويحرمون الحلال. ولعلمهم رأوا كيف استغل الاجتهاد في بعض العهود أسوأ استغلال، وكيف صار سلاح
بطش وظلم وجور، وكيف حاول البعض أن يلبس الأخطاء المقصودة ثوب الاجتهاد ويجعل لها أجراً
من الأجرين، ولعلمهم كذلك رأوا بعض أهل الفتيا يفتون بما يرضى الحاكمين، ولعلمهم خافوا
ازدياد الخلافات عما كانت عليه.

لعل هذه العوامل كلها هي التي أوجدت فكرة إقفال باب الاجتهاد عند قائلها، لكننا حين
ننادي بفتح باب الاجتهاد إنما ننادي بمبدأ حق التفكير والاستنباط من الأدلة والأصول
الثابتة، وهو مبدأ ثابت في الإسلام، على أن يكون الاجتهاد فيما يصح فيه الاجتهاد، وأن يكون
في حدود أدلته الشرعية، والخلاف فيما يصح الخلاف فيه لا يضر بل هو سعة ورحمة، وهو موجود
رغم إقفال باب الاجتهاد، لا بين المذاهب المتعددة، بل بين أتباع الإمام الواحد.

ولا يصح أن يغيب عن القائلين بإقفال باب الاجتهاد أننا أصحاب رسالة وعلينا واجبات لا بد ان
نؤديها، فنحن المسلمين نكون خمس سكان العالم، والمواصلات ووسائل النقل تربطنا بكل
أطرافه شئنا أم أبينا، وليس في استطاعتنا أن ننكمش ونغلق بابنا على أنفسنا، ونتجاهل ما
يدور حولنا، وليس في مكنتنا أن نحيا حياة نستغني فيها عن كل ما جد ويجد، إن هناك مشاكل
جديدة تطالعنا، ومذاهب اجتماعية واقتصادية تحاول غزونا، ونظما خاصة تقبل على عالمنا،
وهناك شبابنا الذين